

## نجاح ثورة الملايكة.. خراب الشرق الأوسط



ثمة صورة مشوهة عن الإسلام في نظر الغرب. وللأسف كان لحركات الإسلام السياسي والجماعات الإسلامية والتنظيمات الإرهابية التابعة لها دور كبير في تكريس هذه الصورة السلبية عن الإسلام، ولكن الدور الأكبر في رسم هذه الصورة لعبته السياسات العدوانية لإيران التي تدعى أنها "إسلامية"، إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تستقيم المقارنة بين تأثير مجرد جماعات وتنظيمات صغرى هنا وهناك، وبين تأثير دولة قوية توظف كل إمكاناتها في خدمة الأيديولوجيا الدينية المتطرفة، وتحاول اليوم أن تمضي أكثر فأكثر في سباق التسليح النووي، ضاربة بقوانين العالم المعاصر ومعاييره وقيمه عرض الحائط.

هل يدرك الشعب في إيران إلى أين تسير به قيادته؟ وهل تظن قيادة الملايكة هذه أنها على صواب، وأنها حقاً تسلك سلوك الدولة الإسلامية وتلتزم شريعة الإسلام ونموذجها الأمثل، أم أن شعاراتها الإسلامية ليست سوى الوسيلة البراغمية لأهداف سياسية لن تخدم الإسلام ولا المسلمين في شيء؟

في العراق أولاً، ثم في لبنان وسوريا واليمن، ناهيك عن حالة الشك والحذر وفقدان الثقة التي زرعتها بينها وبين جيرانها دول الخليج العربي، ما أدى إلى وضع إستراتيجية التسليح الخليجية التي كلفت مئات المليارات من الدولارات من أجل التصدي للمطامح الإيرانية وردعها. ولقد بات من الواضح اليوم أن اتفاقيات السلام الأخيرة (اتفاقيات أبراهام) كانت إحدى الخيارات الإستراتيجية التي وُجِدَت للعرب وإسرائيل للوقوف ضد مشاريع الملايكة في المنطقة، فقد "نححت" ثورتهم حقا في استعداء العرب واعتبارهم أن الإيرانيين يمثلون الخطر الأكبر، بعدما كانوا ينظرون إلى الفرس كجيران وإخوة في الدين والثقافة.

واليوم.. وبعد كل هذه الفوضى التي تخربها طهران في المنطقة، هل حقا هذا هو مشروعهم السياسي؟ وهل هم بالفعل دعاة للإسلام وللدفاع عن المسلمين؟ أم هم مجرد أداة أثمرت ثمار السوء لصالح خدمة كل المترصين بالمنطقة العربية، والذين يريدون لها أن تبقى دائماً تعاني من النزاع والفوضى والتوتر المستمر؟

وأن العالم الحديث مقدم على ترك كل الخلافات الدينية والمذهبية وتحتيتها جانبا ليفتقر للسباق العلمي والتنافس التكنولوجي الذي كلما زاد السبق في مضماره زاد الانفتاح على الجميع من كل الأعراق والأديان والطوائف والفرق؟ لم يقاطعني صديقي العراقي، بل حثني إصغافه على المضي أكثر في حديثي، وهذا ما فعلت، فعبثت له عن أسفي الشديد على طهران جارة العرب التي تسير عكس التيار، وقد أنفقت المليارات على إشاعة الفوضى وإذكاء النزاعات في المنطقة العربية منذ بدأت حربها على العراق الجائع والمحاصر، وزرعت ميليشياتها في كل من سوريا ولبنان واليمن، وألّبت عليها جاراتها شعوبا وحكومات، فاستعدت الجميع ضدها، وحرمت الإيرانيين من الاستقرار والنمو الاقتصادي الذي لو تحقق لجعلها عضواً فاعلاً في منظمة الدول العشرين العظمى بدل ما تعانيه اليوم من اقتصاد منهك وتهميش عالمي وعزلة دولية لا أرق وأضحا لنهايتها.

إن الجزء الأكبر من خراب منطقتنا مرتبط بالدرجة الأولى بثورة الملايكة التي أطلقت مشاريع التدمير منذ عام

يستخدمون القوة والبطش بدلاً من العقل والمعرفة.

أقولها بصراحة.. هل ساعدت ثورة الخميني التي ألبست أهدافها ومطامعها في السياسة والسلطة لبوس الإسلام الأمة الإسلامية على التقدم والتنمية؟ أم جرّت عليها المزيد من التخلف والفقر؟ ولو كانت إيران دولة معتدلة حقاً وليس لها أطماع في المنطقة العربية ولا تحمل أيديولوجيتها العقائدية مشروع تصدير الثورة لكانت قد سلكت نهجا مغايراً لنهجها الذي تسلكه الآن.

وليس بخاف على أحد أن علاقات إيران كانت حسنة وقوية مع السعودية وسائر دول الخليج، بل وأغلب الدول العربية، قبل أن تتبنى أيديولوجيا نشر التشيع ودعم حراك الإسلام السياسي ومشاريعه الإقليمية، فهل تترك إيران اليوم أن عصر الملل والنحل والفرقة والمذهبية قد ولي؟

كان الأمر منذ ثلاثين عاما مضت؟ وهل ما زالوا مهمشين ومنبوذين، ويُعاملون كمواطني درجة ثانية أو كقفة أدنى؟ فاجابني ودون تردد: بل على العكس تماما.

قلت له: أعرف أنك مؤيد لحسن نصرالله ومعجب به.. أجابني رغم ذلك: إذا قرر حزب الله تسليم السلاح والتحول إلى حزب سياسي مدني فهل سيهدد هذا الشيعة في لبنان أو يثير هواجس الخوف لديهم من شركائهم في الوطن؟ فأجاب بالنفي أيضا. قلت: إذن ماذا لو سلم الحشد سلاحه بالمقابل؟ هل ثمة خوف عند شيعة العراق من الاضطهاد؟ اجابني: أعتقد يا صديقي أن موضوع السنة والشيعة قد انتهى في العراق، فالشيعة يشاركون الآن في قيادة الدولة العراقية، وشبابهم اليوم مكون رئيسي من الشباب العراقي المنتفض في الشارع، بثورون إلى جانب إخوتهم السنة ويطلبون معهم بتحقيق العدالة للجميع.

استقرني مزاجه الرائق وترحابه بأسطلي لأساله المزيد، فقلت له: ما رأيك في سلوك إيران تجاه المنطقة العربية؟ أجاب بكلمة واحدة: إيران دولة مهمة وأخشن دائما تسيطر أي إجابة حولها، أود سماع ما لديك حول هذا السؤال. تابعنا الحديث وبدأت أشرح له جبي للثقافة الفارسية العميقة التي ساهمت في إغناء الحضارة العربية والإسلامية، حتى أن أغلب العلماء من أصول فارسية، فأيران الفارسية كانت تستخدم العقل والعلم ولديها إرث حضاري عريق بالمقارنة مع الأتراك الذين حكموا المنطقة العربية دون أن يكونوا أصحاب أي تأثير معرفي على الساحة الفكرية، بل كانوا

اجابني: لو أنك سألتني هذا السؤال قبل عدة أعوام مضت يوم تأسس هذا الجيش على إثر فتوى السيستاني وكان يلقي زخما متصاعدا وتأثيرا كبيرا لكان جوابي دون أدنى شك: نعم. أما في أيامنا هذه وقد أصبح حالنا على ما نحن عليه الآن، وبعد ما تكشف الغطاء عن الأحداث التي تجري في العراق وعن التدخلات التي يقوم بها الحشد، لاسيما بعد انخراطه في التمييز والقتل الطائفي، وبعد اكتشاف علاقته بجرانم الترويع والفساد، فأنا بالتأكيد لست مؤيدا له. عدت فسألته: هل الحشد الشعبي شبيه بداعش؟ فاجابني بثقة ومروءة في الآن ذاته: رغم اختلافهما المذهبي.. إلا أنهما وجهان لعملة واحدة.

سألته مجدداً: هل ما زالت مظلومية الشيعة مستمرة في العراق كما



حسن إسماعيل  
كاتب أردني

بين آخر مرة التقيته فيها وبين هذا اللقاء فترة جاوزت العامين بقليل، لكن الشيب في رأسه والهم على وجهه جعلاني أشعر وكأن سنينا طويلة مرت بين اللقاءين، عرفته رجلاً متديباً منذ البداية، لكنني رأيته في هذه المرة شخصاً أكثر تدبناً، كأنما صار أقرب إلى الزهد بعدما كان، حين عرفته، مشاركاً نشطا في السياسة العراقية وواحداً من أصحاب السلطة والنفوذ فيها.



الجزء الأكبر من خراب منطقتنا مرتبط بالدرجة الأولى بثورة الملايكة التي أطلقت مشاريع التدمير منذ 1980، في العراق أولاً، ثم في لبنان وسوريا واليمن، ناهيك عن حالة الشك والحذر وفقدان الثقة التي زرعتها بينها وبين دول الخليج العربي

دارت بيننا في مطلع اللقاء التحيات المعتادة التي يحب العراقيون المبالغة فيها في بدايات استقبالاتهم، ثم تطرقنا إلى أحاديث شتى سريعة إلى أن سألته هل تؤيد الحشد الشعبي؟

اجابني: لو أنك سألتني هذا السؤال قبل عدة أعوام مضت يوم تأسس هذا الجيش على إثر فتوى السيستاني وكان يلقي زخما متصاعدا وتأثيرا كبيرا لكان جوابي دون أدنى شك: نعم. أما في أيامنا هذه وقد أصبح حالنا على ما نحن عليه الآن، وبعد ما تكشف الغطاء عن الأحداث التي تجري في العراق وعن التدخلات التي يقوم بها الحشد، لاسيما بعد انخراطه في التمييز والقتل الطائفي، وبعد اكتشاف علاقته بجرانم الترويع والفساد، فأنا بالتأكيد لست مؤيدا له. عدت فسألته: هل الحشد الشعبي شبيه بداعش؟ فاجابني بثقة ومروءة في الآن ذاته: رغم اختلافهما المذهبي.. إلا أنهما وجهان لعملة واحدة.

سألته مجدداً: هل ما زالت مظلومية الشيعة مستمرة في العراق كما

## الأثر الروحي لزيارة البابا كبير لكن العراق في انتظار الأثر العملي

استئصال الفساد من خلال التحدث نيابة عنهم. كما قد تكون سوريا مكانا يمكن أن يحقق فيه فرانسيس بعض الإيجابيات، فإذا تحدث بقوة عن الطريقة التي استهدف بها النظام وأنصاره في موسكو وطهران الاستشفيات وقصف المدنيين عشوائيا، فربما سيحجب المهاجمين على الترتيب.



ستيفن كوك

اهتمام الفاتيكان بالمنطقة سيخلف فوائد دبلوماسية

ومع ذلك، سيستمر السياسيون الفاسدون في التذمر، ولن يصلح بشار الأسد نفسه، لكن يبدو أن لسلطة البابا الأخلاقية تأثيرا ديناميكيا على السياسة والدبلوماسية والبيئة الدولية كما أوضحت تجربة البابا يوحنا بولس الثاني.

وذهب المحلل كوك إلى أبعد من ذلك، من خلال تخيل لو تحدث البابا فرانسيس بشكل مباشر ومستمر عن معاملة السياسيين الأكراد في تركيا وانتهاكات حقوق الإنسان في مصر. وقال "كان يمكن أن توفر كلماته منافذ سياسية ودبلوماسية للتعامل مع هذه القضايا بطريقة لم تكن متاحة من قبل، وذلك لأن المسؤولين الأتراك والمصريين يعرفون أن نظرية البابا مركزة عليهم، فرغم طبيعة زعماء هذه الدول، إلا أن تحدي البابا صعب".

ويقول كوك مؤلف كتاب "الفجر الكاذب: الاحتجاج والديمقراطية والعنف في الشرق الأوسط الجديد" إن سلطة البابا قد لا تكون في حاجة إلى "نتائج"، كما ينتظر السياسيون الأميركيون، بل يكمن تأثير البابا فرانسيس في قوة صوته لتشجيع التغيير، وتشجيع أولئك الذين يسعون إلى السلام بشجاعة، ولوم أولئك الذين يستخدمون العنف لدفع أجنداتهم.

وفي بعض النواحي، يفعل البابا هذا فقط من خلال منصبه، ولكن، إذا كانت قوة فرانسيس مستمدة من التقدير الذي يحظى به بين جمهوره، فإن الترحيب الحار الحقيقي الذي تلقاه في جميع أنحاء العراق يشير إلى أن لديه فرصة قوية لإحداث فرق دبلوماسي في المنطقة.

ولا ينبغي أن يتوقع أحد من البابا أن يحل مشكلات المنطقة، ولكنه إذا تحدث بقوة حول قضايا محددة، فقد يكون قادرا على إحداث فرق، وضرب كوك مثلا على ذلك وهو لبنان، الذي يحتضن عددا كبيرا من المسيحيين، وهو على وشك الانهيار، وقال "إذا خاطب البابا فرانسيس الشعب اللبناني بشأن قضية الفساد، فقد يساعد ذلك أولئك الذين كانوا يعملون في الشوارع وفي أماكن أخرى على تخفيف قبضة الطبقة السياسية".

وتبقى هيبه البابا فرانسيس والقوة الأخلاقية التي يقدمها لأي قضية العنصر الأهم، إذ يمنح القوة لأولئك الذين يريدون العيش في مجتمع أكثر عدلا من خلال

عاما، حزن الناس من جميع الأديان على وفاته. ويحمل البابا فرانسيس الشعلة بطريقته الخاصة، ويتبع يوحنا بولس بإعطاء صوته الفريد للشرق الأوسط لأن المنطقة مليئة بالمعاناة، ويظل قادتها وسادة على تحفيز نهاية الحرب الباردة. كما دعم إعادة توحيد أوروبا، وأضفى هيبته على الحرب ضد الفصل العنصري، وعارض كلا من عملية عاصفة الصحراء والغزو الأمريكي للعراق بعد 12 عاما.

كما تحدث عن حرية التعبير وحقوق الإنسان بطرق منحت أولئك الذين عملوا لتحقيق هذه الأهداف غطاء سياسيا وأخلاقيا لمتابعة أجنداتهم. وعندما استسلم لمضاعفات الإنفلونزا بعد 27



ترميم معنويات لا أكثر

الدور الاستثنائي الذي لعبه البابا في قضايا السياسة الخارجية الكبرى في عصره". ويجسد البابا قوة أخلاقية حاسمة شجعت حركة التضامن البولندية لمواجهة الحكومة الشيوعية، مما ساعد على تحفيز نهاية الحرب الباردة. كما دعم إعادة توحيد أوروبا، وأضفى هيبته على الحرب ضد الفصل العنصري، وعارض كلا من عملية عاصفة الصحراء والغزو الأمريكي للعراق بعد 12 عاما.

كما تحدث عن حرية التعبير وحقوق الإنسان بطرق منحت أولئك الذين عملوا لتحقيق هذه الأهداف غطاء سياسيا وأخلاقيا لمتابعة أجنداتهم. وعندما استسلم لمضاعفات الإنفلونزا بعد 27

المحللون إلى التعامل مع هذه الأنواع من الزيارات على أنها عروض جانبية. ففي زيارة سابقة للشرق الأوسط وتحديدا إلى الإمارات، وقع البابا وإمام الأزهر الشيخ أحمد الطيب ما أطلق عليه "وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك".

لكن، لم يكن هناك الكثير من الأخوة والسلام في الشرق الأوسط منذ ذلك الحين، ويرى كوك أن ثمة أسبابا للاعتقاد بأن اهتمام الفاتيكان المستمر بالشرق الأوسط سيؤدي إلى بعض الفوائد الدبلوماسية العملية هناك. وعندما التقى البابا خطبا قال فيه "كم صلينا في هذه السنين من أجل السلام في العراق"، لم يوفر البابا القديس يوحنا بولس الثاني من أجل السلام، "فإن الإشارة إلى القديس يوحنا بولس الثاني في نهاية الخطاب جديرة بالملاحظة لأنه كان يأمل في أن يزور العراق في العام 2000، لكن الفاتيكان لم يتمكن من التوصل إلى اتفاق مع الحكومة العراقية.

والجدل الوحيد جاء في اجتماع أورشليم، حيث لم يكن هناك ممثلون يهود، إما بسبب قلة عددهم وبالتالي صعوبة العثور عليهم، وإما لأنهم لم يتلقوا دعوة من المسؤولين العراقيين. ومع ذلك، كانت إقامة البابا في العراق رمزية إيجابية لا يمكن إنكارها.

وطرح ستيفن كوك، زميل أقدم في إيني إنريكو ماتي لدراسات الشرق الأوسط وأفريقيا في مجلس العلاقات الخارجية في تقرير نشرته مجلة "فورين بوليسي" الأمريكية، تساؤلا يبدو وهما ويتعلق حول ماذا ستؤول إليه الأوضاع الآن بعد هذه الزيارة "التاريخية".

المؤكد أنه بمرور الوقت ستختفي المصنعات التي رحبت به وتبقى مشكلات العراق، ولهذا السبب، يميل